سيرة القدّيس مارُون (350م- 415م)

في أواخِر القَرنِ الرَّابِع للمَسِيح أي نَحوَ سَنَة 370 م وفي مَدِينَةِ قُورش الجَبَلِيَّة، على مسافةِ سبعِينَ كيلومتراً شمالي غرب حَلَب، تَكَلَّمَ سُكَّانُ المنطقة بسيرةِ **ناسكٍ اسمه مارون.**

عُرِفَ **مارون** بالتكرُّسِ الكامل للهِ في حياة نسكيّة قاسيَة: لَقَد نَهَجَ لِنَفسِهِ طَريقًا جَديدًا، وَفَتَحَ، للرَّاغِبِين في التَّقَشُّفِ، بابَ النُّسكِ في العَرَاءِ، مُفترشًا الأَرضَ، مُلتَحِفًا السَّماءَ، يُقاسِي بَردَ الشِّتاءِ وَحَرَّ الصَّيفِ عَلَى حَدٍّ سَواء. قالَ عنهُ مُؤَرِّخ حَياتِهِ الوَحيد، الأُسقُفْ **ثيودوريتوس القُورشي** في كتابِهِ: **"تاريخ أصفياءِ اللهِ"**، :

" لم يقتَصِر مارُون عَلى الأَعمالِ النُّسكيَّةِ المعتادَة، بَل زادَ عليها ما ابتَكَرَتهُ حِكمَتُهُ جمعًا لِغِنَى الحِكمَةِ الكامِلَة. لَقَد قَصَدَ جَبلاً وَكَرَّسَ للهِ الهَيكَلَ الوَثنيّ المُخَصَّص منذُ القَدِيم لِعبادَةِ الضَّلال، صَارِفًا أيَّامَهُ وَلياليه تَحتَ قُبَّةِ السَّمَاء...".

فمارون إذًا هوَ الرّائِدُ والمُؤسِّسُ الأوَّل لِطَرِيقَةِ النُّسكِ في الهَواءِ الطَّلقِ، الطَّريقَةِ الأَقسَى وَالأَصلَب الَّتِي سَوفَ يأخُذُ بِهَا، فِيما بَعد، القِدِّيس سِمعان العامُودِيّ.

ويتابع الأسقف ثيودوريتوس :

"لقد وهبَهُ اللَّهُ مواهِبَ الشِّفاءِ حَتَّى اشتَهرَت أخبارُهُ بينَ النّاس في جميع الآفاقِ فَتَقَاطَرُوا إِلَيهِ مِن كُلِّ مكانٍ وَصَوبٍ. وكانُوا جميعًا قد عَلِموا بالإختبار أَنَّ ما اشتَهرَ عنهُ من الفضائلِ وَالعَجائِبِ صَحِيح، فمارُونُ كانَ يُخمِدُ عَنهُم اضطِرامَ الحُمَّى المُتوقِّدَة بِنَدَى البركَةِ وَظِلّ النِّعمَة. وكانت الشَّياطين تَفُرُّ مِن هَولِ سَطوَتِهِ. فإذَا كانَ الأطِبَّاءُ يُعالِجُونَ الأَمرَاضَ المُختَلِفَة بِأَدوِيَةٍ مُمَيَّزَةٍ، فَهَذا العَظِيمُ القَدر، كَانَ يُعالِجُ كافَةَ الأَمرَاضِ بِدَوَاءٍ واحِدٍ خاص وهُوَ الصَّلاة، لأَنَّ صلاةَ الأبرارِ دَواء عام في طِبِّ العَاهاَتِ.

وما كفى أَنَّهُ كانَ يُبْرِئ الدَّاءَ الجسدِي فقَط بَل الرُّوحانيّ أَيضًا: كانَ يدَاوِي الأَنفُسَ بما يُوَافِقُ شِفاءَهَا.

يَشفِي وَاحدًا من **داءِ البُخلِ** وآخَرَ من **داءِ الغَضَب** وآخَرَ يَصِفُ لَهُ **دواءَ القناعَةِ**، ويُعلِّمُ آخَرَ **قَانُونَ العَدلِ** وآخَرَ **يُحَذِّرُهُ مِنَ الشَّرِّ، وآخَرَ يَشفِيهِ مِنَ الضَّجَر** وَيُوقِظُ آخَرَ مِن **غَفلَةِ الفُتُورِ** إِلى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَدوِيَةِ النَّفسَانِيَّةِ".

تكرَّسَ مارُون تَكَرُّسًا كُلِّيًّا للَّه. كانَ صَلبًا مَعَ ذاتِهِ، **وَعَطُوفًا عَلَى الغَيرِ.**

هذهِ الصِّفات أَذاعَت خَبرَ قَدَاسَتِهِ واجتَذَبَتْ إليهِ منَ التَّلاميذِ رِجالاً ونِساءً، وَلَم تمضِ مدّة حتّى غدَا أَكثر نسَّاك المِنطقةِ مِن تَلامِذَتِه.

بينَمَا كانَ مارُون يَشفِي النُّفوس وَالأَجسَاد معًا، مُنِيَ بِمَرَضٍ قصير المُدَّة، وانتَقَلَ مِن هَذِهِ الحَياة حَوَالَي سَنَة 410 م، مُحَاطًا بِجُمهُورٍ من تلامِيذهِ الَّذينَ اتَّبَعُوا نَهجَهُ وطَرِيقَةَ عَيشِهِ، واستَوطَنوا القِمَمَ القُورشِيَّة وَأَودِيَتِها ومَغَاوِرِهَا **حتّى أصبحَت حديقَةً غَنَّاء مُزدَهِرَةً بِثمارِ القَداسَةِ المُتَنَوِّعَة**. وقَد حَصَلَ نِزاعٌ شَدِيدٌ بَين أهلِ الجوارِ على جِسمَانهِ، إلاّ أَنَّ أهلَ البلدَةِ الأقرَب استَحوَذُوا على هذا الكنز الثَّمِين، ثُمَّ بَنَوا لَهُ هيكَلاً فَخمًا جِدًّا.

تؤُفّيَ مارُون، قبلَ أَن تتغلغَلَ إلى الكنيسةِ شِيَعٌ وأحزابٌ وطوائِف، بَل عندما كانَ الجَميع يتبَارُونَ وَيَتنَافَسُونَ عَلَى عَيشِ الإنجيلِ عيشًا كامِلاً. فهو إذًا للمَسِيحِيَّةِ جَمعَاء، لِكُلِّ الَّذِين تَبِعُوا الإِنجيل، ومارون يمثّل، للكنيسة جَمعاء، المسيحيّ الصّادق والمخلِص، وَالمتفَاني غَيرَةً في سَبيلِ الشَّهادَةِ للإِنجيل.

فلتكُن صَلاتُهُ مَعَنَا.